ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 12 يونيو 2019

مـا العنصريـــة؟

رامون غروسفوغل
ترجمة: العياشي الحبوش

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

ما العنصرية؟[1]

رامون غروسفوغل[2]

ترجمة: **العياشي الحبوش**[3]

1- نشر هذا المقال في:

JOURNAL OF WORLD-SYSTEMS RESEARCH, Vol. 22 Issue 1 Page 9-15 | http://dx.doi.org/10.5195/jwsr.2016.609 | jwsr.org

2- رامون غروسفوغل أستاذ مؤهل في قسم الدراسات العرقية، في جامعة كاليفورنيا، بيركلي. وقد نشر، على نطاق واسع، في موضوع تحرير المعرفة والسلطة من آثار الاستعمار والاقتصاد السياسي للنظام المعولم، والهجرة الدولية.

3- مترجم وأستاذ الأدب الإنجليزي والدراسات الثقافية بكلية الآداب ظهر المهراز فاس.

ملخص

يقدم هذا المقال تعريفا للعنصرية، مستوحى من أعمال فرانتز فانون (Frantz Fanon) وبوانفتورا دي سوسه سنتوس (Boaventura de Sosa Santos)، والفلاسفة المعاصرين المتشبعين بفكر فانون في جزر الكاريبي. ويناقش العنصرية في علاقتها بمنطقة الوجود ومنطقة عدم الوجود. كما تتم مناقشة العنصرية بوصفها نزعا لصفة الإنسانية المرتبط بالطابع المادي للهيمنة، التي يستخدمها النظام المعولم في منطقة عدم الوجود (حيث العنف والسلب)، على عكس الطابع المادي للهيمنة في منطقة الوجود (حيث الضبط والتحرير). ويوضح هذا النهج كيف أن تقاطع أصناف القهر والقمع يعمل بشكل مختلف بالنسبة إلى الشعوب المضطهدة في منطقة الوجود، في مقابل الشعوب المضطهدة في منطقة عدم الوجود، وبينما يتم تخفيف أشكال القهر في منطقة الوجود بسبب الامتياز العرقي، تتفاقم تلك الأشكال في منطقة عدم الوجود بسبب الاضطهاد العرقي.

******

العنصرية هي التسلسل الهرمي المعولم من التفوق والدونية على خط ترسيم الإنسان الذي تم إنتاجه وأعيد إنتاجه سياسيا وثقافيا واقتصاديا على مدى قرون من لدن مؤسسات «التمركز الغربي الأبوي/ الرأسمالي- التمركز المسيحي/الحداثي/ الاستعماري» (Grosfoguel, 2011). ويتم تصنيف شعوب فوق خط الإنسان على أساس إنسانيتهم كبشر، وبالتالي يتمتعون بالحصول على الحقوق (حقوق الإنسان، والحقوق المدنية، وحقوق المرأة، و/ أو حقوق العمال)، والموارد المادية، وكل أشكال الاعتراف الاجتماعي كالخصوصيات والهويات والمعارف والروحانيات. أما الشعب الموجود تحت خط الإنسان، فيعد دون البشر أو ليس ببشر، وهذا يعني أن إنسانيتهم توجد موضع شك وعلى هذا النحو تم إبطالها (Fanon 1967). وفي الحالة الأخيرة، يتم رفض توسيع الحقوق والموارد المادية لتلك الشعوب وكذا الاعتراف بخصوصياتها وهوياتها ونظمها المعرفية وروحانياتها.

إن هذا التعريف للعنصرية يسمح لنا بأن نتصور أشكالا متنوعة من العنصرية تجنبا عديدا من التعريفات الاختزالية الموجودة. اعتمادا على التواريخ الاستعمارية المختلفة في مناطق متنوعة من العالم، يمكن بناء التسلسل الهرمي القائم على ثنائية التفوق/الدونية على طول خط الإنسان من خلال علامات عرقية متنوعة، ويمكن تمييز العنصرية باللون والعرق واللغة والثقافة و/ أو الدين.

وعلى الرغم من أن العنصرية القائمة على اللون منذ العصور الاستعمارية كانت هي العلامة المهيمنة المحددة للعنصرية في معظم أنحاء العالم، فإنها ليست الشكل الوحيد والحصري للعنصرية. ففي عديد من المناسبات، نخلط بين العلامة الاجتماعية الخاصة/ الملموسة للعنصرية في منطقة واحدة من العالم مع ما يمكن عده الشكل الحصري، أو التعريف الكوني للعنصرية. وقد خلق هذا كما هائلا من الإشكالات المفاهيمية والنظرية، فإذا ما قمنا بإسقاط الشكل (/العلامة) الاجتماعي الذي تتبناه العنصرية في المنطقة أو البلد الذي تمت فيه تنشئتنا الاجتماعية (على سبيل المثال العنصرية على مستوى اللون) لنجعل منه مرادفا للتعريف الكوني للعنصرية، عندئذ نفقد نظرنا إلى العلامات العنصرية المتنوعة التي ليست بالضرورة هي نفسها في مناطق أخرى من العالم. إن مشكلة أخذ علامة عنصرية معينة كتعريف للعنصرية تقودنا إلى استنتاج زائف مفاده أن العنصرية لا توجد في أجزاء أخرى من العالم، ما دام شكل وسم العنصرية في منطقة ما أو بلد معين لا يتطابق مع شكل "الحس المشترك" لوسمها في بلدك الخاص. يشكل هذا المثال جزءا من "القومية المنهجية" التي تحجب الفهم الأوسع والنسقي المنتظم عالميا لمشكل الحداثة والاستعمار كشكل من أشكال العنصرية.

العنصرية هي التسلسل الهرمي من التفوق والدونية على طول خط الإنسان. ويمكن بناء هذه التراتبية وتمييزها بطرق مختلفة. إن النخب المتغربة من العالم الثالث (الإفريقي والآسيوي أو الأمريكي اللاتيني) تعيد إنتاج ممارسات عنصرية ضد الجماعات العرقية /الإثنية، حيث يمكن، حسب التاريخ المحلي/ الاستعماري، تعريف وتحديد أولئك الّذين يعدون أقل شانا تحت خط الإنسان بواسطة حدود الدين، والهوية العرقية والثقافة واللون.

في التاريخ الاستعماري لإيرلندا، بنى البريطانيون تفوقهم العرقي على الإيرلنديين، ليس من خلال لون البشرة، ولكن من خلال علامة دينية. فعندما يشترك المستعمر والمستعمر في لون البشرة نفسها، يجب بناء علامة التفوق/الدونية على طول خط الإنسان مع علامة مختلفة تذهب أبعد من مجرد العنصرية القائمة على اللون. ما بدا للوهلة الأولى أنه صراع ديني، بين البروتستانت والكاثوليك، كان في الواقع نزاعا عرقيا/ استعماريا.

يمكن قول الشيء نفسه حول الخوف من الإسلام في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية اليوم، إذ تشكل الهوية الدينية الإسلامية اليوم إحدى أبرز علامات التفوق/الدونية على طول خط الإنسان، حيث يتم بناء صورة المسلمين في أمريكا الشمالية وأوروبا اليوم على كونهم "برابرة"، و"متخلفين"، و"غير متحضرين"، و"عنيفين" و"إرهابيين"، و"مسيئين للأطفال والنساء والمثليين والسحاقيات"، وبالتالي غير قادرين على التكيف مع القيم الأوروبية. لقد قلت "أحد أبرز العلامات" لأنه في هاتين المنطقتين من العالم، لا تزال العنصرية القائمة على اللون ذات أهمية كبيرة، وتتشابك بطرق معقدة مع العنصرية القائمة على الدين. في حين يتسم التسلسل الهرمي العرقي/الإثني للتفوق/ الدونية بعلامة لون البشرة في مناطق كثيرة من العالم، فإنه، في مناطق أخرى، يتميز بهوية عرقية أو لغوية أو دينية أو ثقافية.

يتم فرض العنصرية من خلال وسم وتوصيف الأجساد، فبعض الأجساد تفرض على أنها متفوقة عرقيا، بينما يتم فرض تنشئة أجساد أخرى على أنها دونية عرقيا. والنقطة المهمة هنا، أن هؤلاء الناس الذين يقعون فوق خط الإنسان، كونهم متفوقين، يعيشون، في ما يسميه الفلاسفة اللأفروكاربيين (Afro-Caribbean)، الذين إعتمدوا على عمل "فانون"، بمنطقة الوجود، بينما يعيش الناس، الذين يوجدون في الجانب الأدنى من خط ترسيم الإنسان، في منطقة عدم الوجود.

تقاطعات /تشابكات متباينة: منطقة الوجود ومنطقة عدم الوجود

في نظام عالمي إمبريالي/رأسمالي/إستعماري، يشكل العرق الخط الفاصل والمستعرض الذي يتقاطع مع العديد من علاقات القوة مثل الطبقة، والجنس والنوع على نطاق عالمي. ويحدث هذا التقاطع بين العرق والطبقة والجنس، وهو مفهوم طورته رائدات الحركة النسوية في المنطقتين كلتيهما من العالم الذي يصفه فانون. ومع ذلك، فإن التجربة الحية لأشكال الاضطهاد المتنوعة، والطريقة الخاصة التي يتم بها التعبير عن التقاطع، تختلف في منطقة الوجود بشكل متناقض مع منطقة عدم الوجود. وهذا أمر بالغ الأهمية لأن العنصرية، ليست مجرد تحامل وقوالب نمطية، وإنما هي، في المقام الأول، تراتبية مؤسساتية/بنيوية مرتبطة بالطابع المادي للهيمنة.

وهناك ذوات نشأت على قاعدة التمييز العنصري بوصفها كائنات متفوقة، تعيش في منطقة الوجود، لكنها تحيا داخل القهر والاضطهاد على أساس الطبقة والنوع، والجنس و/أو الوطن، والاستعمار. وهكذا، فإنها تعيش كل أشكال الاضطهاد تلك التي تم تخفيفها بواسطة الامتياز العرقي. وكما سيتم مناقشته أدناه، فإن لهذا آثارا جوهرية عن الكيفية التي تعاش بها أشكال القهر القائمة على أساس الطبقة، والنوع والجنس و/أو الوطن والاستعمار. وبالنظر إلى أن تلك الذوات التي نشأت على الدونية في منطقة عدم الوجود، فإنها تعيش القهر العنصري، بدل الامتياز العرقي. ومن ثَمّ، فإن التشابك التقاطعي، بين أشكال القهر القائمة على أساس الطبقة والنوع والجنس و/أو الوطن والاستعمار، الموجودة مع منطقة عدم الوجود، يختلف نوعيا عن الطريقة، التي تعاش بها تلك الأشكال، ويعبر عنها بوضوح في منطقة الوجود. وفي منطقة عدم الوجود تتفاقم أشكال الاضطهاد المتعددة بواسطة القهر العنصري. والقضية، التي يجب التأكيد عليها هنا، هي أن هناك فرقا نوعيا بين الكيفية التي يتم بها التعبير عن الاضطهادات المتداخلة/المتشابكة، ومعايشتها في منطقة الوجود، عن تلك الموجودة في منطقة عدم الوجود، في النظام العالمي القائم على "التمركز الغربي الرأسمالي/الأبوي- التمركز المسيحي/ الحداثي الاستعماري".

لا تعتبر أية من هاتين المنطقتين متجانسة، فكلتا المنطقتين هما موقعان غير متجانسين. فحسب فانون، يمكننا القول إنه داخل منطقة الوجود، توجد صراعات مستمرة بين الأنا والآخر، كما يصف ذلك المنطق الجدلي لدى هيغل. ففي العلاقة الجدلية بين "الأنا" و"الآخر"، داخل منطقة الوجود، هناك صراعات مستمرة، إلا أن هذه الصراعات ليست عرقية، لأن "الظالم" يعترف بإنسانية الآخر "المظلوم". إن "الأنا"، في النظام العالمي القائم على التمركز الرأسمالي/الأبوي/الإمبريالي، تمثلها النخب الغربية

والمُغربة ذات النزعة الذكورية والحضرية المحافظة في المركز والهوامش: الاستعمار الداخلي في المركز، كما في المحيط.

بالنسبة إلى فانون، الآخر الهيغلي يمثله سكان المراكز الحضرية الغربية، أو الذوات والناس المغربين في المحيط أو الهامش، الذين يتم الاعتراف بإنسانيتهم على هذا النحو، ولكنهم في الوقت نفسه، يعانون أشكال اضطهاد، ليس على أساس العرق، ولكن على أساس الطبقة والجنس والنوع، أو على أساس أشكال الهيمنة الوطنية الاستعمارية، في ظل هيمنة "الأنا" الإمبريالية في مناطقهم أو بلدانهم. إن منطقتي الوجود وعدم الوجود ليستا مكانين جغرافيين محددين، بل هما موقعان داخل الهياكل العنصرية للهيمنة، التي تعمل على نطاق معولم بين المركز والأطراف، ولكنهما تتجليان أيضا، على المستويين المحلي والوطني، ضد مختلف الفئات التي تعد "دونية" على أساس عرقي.

توجد مناطق الوجود ومناطق عدم الوجود في نطاق معولم بين المراكز المغربة والأطراف غير الغربية (الاستعمار المعلوم)، إلا أنها لا توجد داخل المراكز الحضرية فقط، (ذوات موسومة بعلاقات عرقية/استعمارية في مناطق حضرية، وأقاليم، وغيتوهات، ومناطق معزولة...)، بل توجد أيضا داخل الأطراف (الاستعمار الداخلي). فمناطق عدم الوجود، داخل بلد حضري أو هامشي، هي مناطق الاستعمار الداخلي. ورغم ذلك، من هنا يساهم علم الاجتماع النقدي للتحرر من الاستعمار (Critical Decolonial Sociology)، لبوانفتورا دي سوسه سنتوس Boaventura de Sosa Santos، في توضيح الفرق العنصري بين منطقة الوجود ومنطقة عدم الوجود. يتعلق كل هذا بمسألة مادية الهيمنة.

مناطق «فانون» وخط الهوة السحيق لدى دي سوسه سنتوس

تتميز الحداثة، وفقا لدي سوسه سنتوس de Sosa Santos، بوجود خط هوة سحيق بين السكان الذين يعيشون فوق هذا الخط، والذين يعيشون تحته. فخط الهوة السحيق هو الخط الذي يحدد المناطق التي يتم فيها الاعتراف بقواعد القانون بين الإمبراطوريات الأوروبية، والمناطق التي ينعدم فيها القانون حيث العنف هو القاعدة. فمناطق القانون تتوافق مع الأوروبيين، أو العرق المتفوق، في حين المناطق الخارجة عن القانون، تنطبق على المجال الترابي الاستعماري. وهنا يشير دي سوسه سنتوس، إلى معاهدة تورد سيلاس Tordesillas بين الإمبراطوريتين البرتغالية والإسبانية. لقد تم وضع معاهدة تورد سيلاس لتوضيح الارتباك بين الإمبراطوريتين حول المطالبة بالأراضي الاستعمارية الجديدة في العالم الجديد.

إذا قمنا بترجمة «خط الهوة السحيق»، بوصفه معادلا لخط الإنسان لدى فانون، نعتبر أولئك الذين يعيشون فوق خط الهوة السحيق في منطقة الوجود، في حين أن أولئك الذين يعيشون تحت ذلك الخط، في منطقة عدم الوجود. عندئذ يمكننا إقامة حوار بين عمل دي سوسه سنتوس وعمل فانون، من شأنه أن يثري فهمنا للحداثة والنظام المعولم الذي نعيش فيه على أسس رأسمالية/إمبريالية /أبوية/عرقية/استعمارية. يرتبط الاختلاف بين المنطقتين بمادية الهيمنة في الهرميات العرقية. فبالنسبة إلى دي سوسه سنتوس (2006)، فإن الطريقة التي تدار بها الصراعات في منطقة الوجود (فوق خط الهوة السحيق)، هي من خلال ما يسميه آليات الضبط والتحرير.

يشير مفهوم الضبط إلى الحقوق المدنية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق العمال، وكذا المساطر القانونية والآداب العامة وفضاءات التفاوض والفعل السياسيين، التي يتم الاعتراف من خلالها «للآخر» المظلوم، في صراعه مع «الأنا» الظالم، داخل منطقة الوجود. هذا في حين، يشير مفهوم التحرير إلى مقولات الحرية والاستقلالية والمساواة التي تشكل جزءا من الخطابات والمؤسسات المستخدمة لتدبير الصراعات والنزاعات في منطقة الوجود. ونظرا لاعتراف «الأنا» الظالم بإنسانية «الآخر» المظلوم في منطقة الوجود، فإن هذا الأخير يعيش أشكال اضطهاد وقهر على أساس النوع والجنس وكذا الوطن/ الاستعمار، التي يخففها الامتياز العرقي المتمثل في آليات مادية الهيمنة «للضبط» و«التحرير». وهكذا يصبح اتجاها سائدا، إذ يتم ضبط النزاعات في منطقة الوجود بوسائل غير عنيفة، ليبقى العنف دائما استثناء، يستخدم فقط في لحظات استثنائية؛ أي توجد لحظات من العنف في منطقة الوجود، لكنها توجد بوصفها استثناء أكثر من كونها قاعدة.

وعلى العكس من ذلك، وكما يؤكد ذلك دي سوسه سنتوس (2007، 2010)، في منطقة عدم الوجود- تحت خط الهوة السحيق- حيث يتم تجريد الناس من إنسانيتهم، بمعنى أنهم يعدون تحت خط الإنسان، أي غير بشر أو دون البشر، تستخدم الأنا ذات الهوية الإمبريالية/الذكورية / الجنسانية/التقليدية، طرقا في نظامها المؤسساتي، لتدبير وإدارة النزاعات، تقوم على وسائل العنف، وكذا الاستيلاء والسلب المباشرين. وكتوجه، تدار الصراعات في منطقة عدم الوجود، من خلال العنف الدائم، مع لحظات استثنائية فقط، تستخدم فيها أساليب «الضبط» و«التحرير». وهذا هو عكس الطريقة التي تدار بها الصراعات في منطقة الوجود. إن العنف والسلب العنصريين، اللذين يستخدمان كشرط مادي للهيمنة في منطقة عدم الوجود، يفاقمان التجربة المعيشة لأشكال الاضطهاد والقهر التي تقوم على أساس الطبقة والنوع والجنس وكذا الوطن/ الاستعمار.

وبما أن إنسانية الناس المصنفين في منطقة عدم الوجود غير معترف بها، وبالنظر إلى أنهم يعاملون على أنهم غير بشر، أو دون البشر، أي بدون أعراف في الحقوق، ومعايير في الآداب والأخلاق العامة، فإن أعمال العنف، والاغتصاب، والاستيلاء يسمح بها، في حين ينظر إليها، في منطقة الوجود، على أنها غير مقبولة. فبالنسبة إلى دي سوسه سنتوس تعد المنطقتان مؤسِّستين لبعضهما البعض، وتشكلان جزأين من مشروع الحداثة الاستعمارية. ومن ناحية أخرى، بالنسبة إلى فانون، فإن جدلية الاعتراف المتبادل بين «الأنا» و«الآخر»، الموجودة في منطقة الوجود، تنهار في منطقة عدم الوجود، حيث لا يوجد أي اعتراف بإنسانية الآخر. وهذا الأمر له آثار هامة مثل تلك التي وصفها دي سوسه سنتوس.

وعلى سبيل الاستخلاص، تدار الصراعات في منطقة الوجود من خلال سلام دائم مع لحظات استثنائية من الحرب، بينما في منطقة عدم الوجود، لدينا حرب دائمة، مع لحظات استثنائية من السلام. إن تجربتيْ الاضطهاد على أساس الطبقة والنوع والجنس، بوصفهما تجربتين معيشتين، في منطقتي الوجود وعدم الوجود، ليستا متطابقتين. وبما أن الصراعات مع النخب المسيطرة والطبقات الحاكمة، داخل منطقة الوجود، لا تقوم على أساس عرقي فإنه في الصراعات التي تقوم على أساس الطبقة، والنوع والجنس يقتسم «الكائن الآخر» امتيازات المساطر الإمبريالية في القانون والحقوق، ويشارك في خطابات التحرير للأنوار الأوروبية وعملياتها السلمية في التفاوض وحل النزاعات. وعلى النقيض من ذلك، ففي منطقة عدم الوجود، فإن الصراعات، التي تقوم على أساس الطبقة والنوع والجنس يتم التعبير عنها، في الوقت نفسه، بالاضطهاد العرقي؛ إذ يتم تدبير وإدارة هذه الصراعات بطرق عنيفة تقوم على الاستيلاء/السلب بشكل ثابت. تتفاقم، إذن، أشكال القهر القائمة على أساس الطبقة والنوع والجنس، كما يعيشها «الآخر غير الموجود»، بسبب التعبير المتلاحم والمتشابك عن تلك الأشكال من القهر والظلم، وذاك الإضطهاد القائم على أساس عرقي.

المراجع

- Crenshaw, K., 1991. Mapping the margins: Intersectionality, identity politics, and violence against women of color. *Stanford Law Review,* 43 (6), 1241-1279

- Davis, A., 1983. *Women, Race and Class.* New York: Vintage.

- De Sousa Santos, B., 2006. *Renovar la teoría crítica y reinventar la emancipación social (encuentros en Buenos Aires)*. Buenos Aires: CLACSO.

  _____. 2007. Beyond abyssal thinking: From global lines to ecologies of knowledges. *Review,* 30 (1), 45-89.

  _____. 2010. *Epistemologias del Sur*. Mexico: Siglo XXI.

- Fanon, F., 1967. *Black skin, white masks.* New York: Grove Press.

- Gordon, L.R., 2006. African-American philosophy, race, and the geography of reason. *In*: L.R. Gordon and J.A. Gordon, eds. *Not only the master's tools: African-American studies in theory and practice*. Boulder and London: Paradigm, 3-50.

- Grosfoguel, R., 2011. Decolonizing post-colonial studies and paradigms of political-economy: Transmodernity, decolonial thinking and global coloniality. *Transmodernity: Journal of Peripheral Cultural Production of the Luso-Hispanic World*. 1 (1), 1-38.

- Maldonado-Torres, N., 2008. *Against War.* Durham: Duke University Press.

- Wynter, S., 2003. Unsettling the coloniality of being/power/truth/freedom: Towards the human, after man, its overrepresentation–an argument. *CR: The New Centennial Review*, 3 (3), 257-337

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019

All rights reserved © 2019